



د. دياب يونس

تحديث لعنة بابل

تحديث لعنة بابل

د. دياب يونس |



▶ جودت حيدر
شكسبير العرب
بريشة الفنان وجيه نعله

قيل لابن البقاع: "اللغة الأجنبية
قناع. هي وقف على قضايا الذهن
دون الوجدان. فائق على شاطئ
بحرك. إنق جزءاً من أرضك، من
بيتك، ومن قبور موتك. إن تقتحم
لساننا فلن يسعلك أن تتوطن فيه.
ولن يكون لك، من بعد، لغة إن
ضيقت أرضك. فمن يتخلل عن لغته
يخرم عليه أن يكون شاعراً".

من العيادة يتحدرون من أرض العراق أساداً من بني أسد، ينزلون أرض البقاع فالجذب بهم
يخضوضراً، يحيقون ببعلبك فيشبه لها أن تعددت عمدها؛ يسكبون على مدينة الشمس لألاء من
آوار؛ وعلى عروش الجمال أكاليل سحر يضيرون!

من العيادة يكون لهم في كل مضمار قديح مغلطات: في الشعر استمطروا اللآلي؛ في السياسة
تعالوا مقبلين ومذهرين؛ في الذود عن لبنان والعروبة حلّقوا عقباناً؛ في المحاماة والمحافل اعتلوا
مناير ذوداً عن جمي ومحاماة عن حقوق.

ونساء آل حيدر شقائق رجال آل حيدر: هن الرهيفات اللطيفات الثقيفات، وهن الزكيات الذكيات
الشهيات. زينتهم تقولها أخت الحسين في مقلة كربلاء لبوة جريحا، و"مليحتهم" تغالها مريم
بنت عمران ملاحه مهوراً.

كأن الواحدة منهن تختصر مدائن وتعتصر حضارات؛ غراز نجد وعطر باريس، حكمة بغداد
وعقل أثينا، شظف البادية وترف الديباج.

من الحيدري الجودة المجرود في كل عمل وعلم؛ المغامر التسوقه الأسفار إلى الآفاق والأعماق؛
الطوافه التسوقه المغامرات وشهوة الفتح، يستبدل زبابات بعلبك بالأبواق، ونايات الرعيان في
سهول لبنان بالكمان، والشبابات بالأراغن، والمزمار بالقيثار!

حرق باب لغة الإنكليز فخرت له المصاريع صرعى لأنه سيداً كان سلطاناً، ومن أصحاب
الجلالات.

أتر لغة إليزابيت الأولى حتى بدا لقرائه والنقاد أنه على شفهي أمه أبصر ولادتها.

أقيمت في مهرجان الإبداع اللبناني للعام
٢٠٠٧ بمناسبة الذكرى السنوية الأولى
لرحيل الشاعر جودت رستم حيدر في قصر
الأونيسكو - بيروت، بتاريخ ٤ كانون الأول
٢٠٠٧.

قال ابن لبنان: "لبنان حديقة اللغات،
ومهد الحرف هو موطن الإنسان.
كن من تشاء، يا إنسان، فلأنت أخي،
أنا رسول حب ونبل وروح إليك.

سأرسل "أصواتاً" تذكركم بصوت
جبران في "نبيه"، سأنقل "أصداء"
تبعث "مرداد" النعيم؛ سأبسط لكم
"أفياء" كتلك التي نشرها الريحاني
في "خالده" الخالد. "ها أنا ذا
أتحدى لعنة بابل".

سقط الخمار، وسقط الصيف وقد أرادت إسقاطه. وطئته نفسها فاستوطن، وسكنت فيه،
وساكنها، فوَلَجَ كلُّ حميم، وكلُّ حليل، وكلُّ حريم.

وسرى في سماء الإنكليزية كوكبٌ مشرقٌ بهي، شجي. وسمع القوم صوتاً لبنانياً يترقرق ناعماً
طرياً قادماً من البعيد، ينفث نَفحاتٍ روحانيةً تأمليةً عميقة؛ ويثبث دَفقاتٍ من المحبة الإنسانية
والحب الصوفي، من الفرح والكآبة والانفتاح؛ ويلهث حَسراتٍ على فردوس ضاع، وحينئذٍ إلى
ماضٍ دَرَسَ وباد، وإلى أيام أنس سريعات الخُطى؛ ويزدوبُ حناناً إلى أهل تواروا، وموطن تشلخ،
وأمةً قعدت عن صناعة المجد؛ وينطلق في نشوة المشاهدات المثالية؛ ويطلق، بئراء عمقي،
خواطر في الحياة والموت خضبتها الفكر والقلق والمرارة؛ ويصعدُ من أعماق قلبه المغلف بالكبر
والصبر صرخات مكبوتة تتمرّق وتَمَرّق؛ ويستشف الآتي بمنطقه الحدسي الشفاف بما يحاكي
التنبؤ؛ وينفخ في الإنسان عزة، وفي اللبنانيين ومقاومتهم، يصبُ عزماً: "فلسوف تنهضون من
اللّهيب وترفعون أعلام المحبة والحرية فوق أرضنا الحبيبة: الليلة كأس، وغداً سيف".

جودت حيدر، أيها السيد الجليل،

حَسْبِكَ يا ابن دَوْحة المجد، أنك يَمَمْتَ وجه المجد، وتحديت لعنة بابل، وأنتك أزوجت بين الناي
والأرض، ومَرَجْتَ صوت الشرق برنين الغرب؛ وأنتك لم تكن غرسه هجينة في دنى الشعر
الإنكليزي بل شاعراً أصيلاً، ومفكراً كبيراً، ونموذجاً قذاً من نماذج العبقرية اللبنانية؛ وأنتك كنت،
في مسار عمرتك المديد المكلل بالثمار والمآثر،

تستسخِرُ بأنفس الجبر مُتَقَبِضاً
عن رُتَبَةِ نالها الأوغاد بالجيل.

